

# تشريح الثورة الوطنية المغربية

## ثورة فاس، ثورة الحجامي، ثورة أحمد الهيبة

د. عبد السلام بوطافي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس  
جامعة سيدي محمد بن عبد الله  
فاس – المملكة المغربية



### مُلخَص

شهد المغرب، إثر توقيع معاهدة الحماية في ٣٠ مارس ١٩١٢، اندلاع ثورات وطنية، اختلفت عن سابقتها من التمردات ضد السلطة المركزية، فلأول مرة في تاريخ المغرب تنصهر، تحت الضغط الخارجي، وتفاعل التناقضات الداخلية، قبائل المغرب على اختلافها "قبائل الكيش وقبائل الناوية وقبائل السببة" في بوتقة الوطنية الجهادية متعالية على أحقادها التاريخية، لتوقع على فعل تاريخي مميز، فتح عهدًا جديدًا يختلف كليًا عما سبقه من العهود، في عالم التمرد والانتفاضات، حيث تسامى العنف المغربي إلى مستوى الثورة بكل ما تحمله الكلمة من تجدد ورغبة في خلق عالم جديد خاصة على مستوى بناء الهيكل السياسي. سوف نرصد معالم هذا التميز من خلال تشريح ثورة فاس الحضرية، التي أطلق شرارتها العساكر المغاربة، لتتحول إلى ثورة شعبية، وفي ثورة الحجامي ذات الأهداف المحددة، مما جعلها ترقى على أن تكون مجرد تمرد بدوي قبلي دوري طالما ميز التاريخ المغربي ضد السلطة المركزية. وأخيرًا في ثورة أحمد الهيبة، التي استهدفت إقامة هيكل سياسي جديد، وبناء وعي سياسي يمتزج فيه الديني بالديوي. وقد اتضح أن لهذه الثورات فرائدها التي تجعلنا نقول مطمئنين بأن هذه التجارب التاريخية الثلاث كانت أكثر من مجرد مقاومة وأقرب إلى الثورة بمعناها المفهوم في الأدبيات الغربية المنظرة لهذه الظاهرة الإنسانية.

### كلمات مفتاحية:

الثورات الوطنية؛ الصحافة الفرنسية؛ الجماهير؛ السلطة المركزية؛ تاريخ المغرب الحديث

### بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٦ أكتوبر ٢٠٢٠  
تاريخ قبول النشر: ١٨ نوفمبر ٢٠٢٠

DOI 10.21608/KAN.2020.206479 معرّف الوثيقة الرقمي:

### الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عبد السلام بوطافي، "تشريح الثورة الوطنية المغربية: ثورة فاس، ثورة الحجامي، ثورة أحمد الهيبة". - دورية كان التاريخية. - السنة الثالثة عشرة - العدد الخمسون، ديسمبر ٢٠٢٠. ص ١٧٨ - ١٩١.

Official website: <http://www.kanhistorique.org>

Twitter: <http://twitter.com/kanhistorique>

Facebook Page: <https://www.facebook.com/historicalkan>

Facebook Group: <https://www.facebook.com/groups/kanhistorique>

Corresponding author: [abdesselamb5@gmail.com](mailto:abdesselamb5@gmail.com)

Egyptian Knowledge Bank: <https://kan.journals.ekb.eg>

Editor In Chief: [mr.ashraf.salih@gmail.com](mailto:mr.ashraf.salih@gmail.com)

Inquiries: [info@kanhistorique.org](mailto:info@kanhistorique.org)

**Open Access** This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0>), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made. نُشرت هذه الدراسة في دورية كان التاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع للأغراض تجارية أو ربحية.

## مُقَدِّمَةٌ

بتمحيص رواية جاك هوبير، التي اعتمد فيها على شهادات حية لثلاثة مؤطرين عسكريين فرنسيين نجوا من المذبحة<sup>(٤)</sup>، ومقارنتها برواية السفير الفرنسي رينيو، الذي أرجع سبب الثورة إلى الهجوم الذي شنه عساكر طابور قصبة شراردة، بسبب القرار القاضي بتخفيض رواتب العساكر، نقف على تهوينها من ثورة فاس معتبرة إياها مجرد حادث معزول ليست له أية مضاعفات سياسية، مادام الجند أنفسهم هموا الفتك بالقاتل<sup>(٥)</sup>.

نستخلص من الروايتين استبعادهما لفكرة التخطيط، والدفاع على وجهة النظر القائلة بالتلقائية. ويرجع السبب في ذلك إلى اعتمادهما التحليل الكرونولوجي السطحي للأحداث، ولم تغصا في أعماقها، فاكتفيا بذكر الأسباب الظرفية، ولم تسعيا إلى معرفة الجبايا والأسباب العميقة الكامنة وراءها. وهذا التحليل الكرونولوجي هو الذي كان وراء إجحام جاك هوبير على المضي بعيداً في دراسة هذه الثورة الحضرية، والاكتفاء بمجرد التلميح لفرضية التخطيط، إلا أنه سرعان ما يتجاوزها دونما تبرير معتبراً إياها مجرد إشاعة لا ترقى إلى اليقين، فالثورة في نظره لم تكن سوى اضطراب عسكري منشؤه مطالب مهنية صرفة، إلا أنها كانت ذات ارتدادات داخل الطبقات الشعبية<sup>(٦)</sup>، وبذلك يكون قد برأ المخزن والطبقات المتتورة من التواطؤ مع فاعليها.

إذا كان جاك هوبير ومعها الصحافة الفرنسية قد اعتبرا ثورة فاس الحضرية حادثاً معزولاً وتلقائياً، غاب عنه التخطيط، فإن التقارير العسكرية اعترتها ثورة مخطط لها من طرف المخزن، بل أشارت صراحة إلى تواطؤ المولى عبد الحفيظ، واتهمته بالوقوف وراء انتفاضة وتمرد العساكر، وقالت بوجود علاقات مريبة نسجت بين السلطان والعساكر، الذين أشعلوا فتيل الثورة. هذه الفرضية لا تجد لها سنداً في الواقع<sup>(٧)</sup>، بل يرفضها دانييل ريفي رفضاً قاطعاً، بدعوى الرعب الذي قذفته الثورة في قلب السلطان، وكيف انكفأ على نفسه في انتظار نجدة القوات المعسكرة بدار الديبيغ<sup>(٨)</sup>.

إن أطروحة العسكر القائلة بالتخطيط للثورة لا تبدي إلا مدى مقدار العمى، الذي غشي أبصار العسكرية الاستعمارية لحقدها وكراهيتها للمولى عبد الحفيظ، وكانت عملية من عمليات تصفية الحساب بين مؤطري المؤسسة العسكرية الفرنسية والسلطان الراض للتنظيمات الجديدة، ومن أسباب بروز هذه الأطروحة كذلك الصراع والتنافس المرير والدسائس التي كانت تعرفها الأوساط العليا للسلطة المخزنية<sup>(٩)</sup>.

شهد المغرب مع دخول الاحتلال الفرنسي، انطلاق ثورات وطنية ذات مسوح دينية واضحة، لأن الوطنية المغربية لم تكن قد تشكلت في ذلك الوقت، بمعناها المعروف فيما بعد. ونحن نقوم بتشريح الثورة الوطنية المغربية، ممثلة في الثورات الثلاث نموذج الدراسة، حاولنا الإجابة عن إشكالية ما الذي يجعلها أكثر من مقاومة و يرقى بها إلى مستوى الثورة، وذلك بالبحث في مستويات التقاطع بينها وبين الثورات الكبرى بتبي منهجية مقارنة، عبر الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، التي طرحتها دراسة هذه الظاهرة في الأدبيات الغربية المهمة: من هم الفاعلون في هذه الثورة، ما المشاعر التي سيطرت عليهم وقادتهم على سبيلها، هل كانت نتيجة أسباب ظرفية، أثارها التدخل الخارجي، أم كانت نتيجة لأسباب عميقة سببها توقف دوران النخبة المغربية وانحطاط الطبقة الحاكمة. كما سنحاول الإجابة عن سؤال ما الذي جعل الثورة الوطنية المغربية شديدة العطب، وغير قادرة على اكتساب خاصية الديمومة والاستمرارية، وعبور مرحلة التحول والانتقال من الثورة إلى الدولة بنجاح.

## أولاً: الثورات الوطنية المغربية بين التخطيط والتلقائية

تعتبر ثورة فاس وثورة الحجامي وثورة أحمد الهيبة، إحدى أهم الثورات الوطنية المغربية ضد الاحتلال الأجنبي. وكانت الثورة الحضرية التي شهدتها فاس بمثابة الحجر الذي قدحت عليه شرارة الثورة، حاملة معها النفس الثوري إلى أبعد مدى على خريطة الإمبراطورية الشريفة. وقد اختلف في شأنها فيما يتعلق إن كانت ثورة مخطط لها أم مجرد حادث عفوي طارئ، وبالرجوع إلى الصحافة الفرنسية المواكبة للحادث، ولرواية السفير الفرنسي رينيو، نلمس دفاعهما عن أطروحة ترجعهما لمجرد حادث معزول، وكان تحليلهما لهذه الثورة الحضرية تحليلاً كرونولوجياً، ولم تغصا في أعماقها واكتفيا بذكر الأسباب الظرفية، ولم تسعيا إلى معرفة الجبايا والأسباب العميقة الكامنة وراءهما، ولم تكلفا نفسيهما عناء وضع هذه الثورة الحضرية موضع السؤال، لم تتساءلا إن كانت نتيجة أيد خفية، والجدير بالذكر هنا أن جاك هوبير<sup>(١٠)</sup> مراسل جريدة لوماتان<sup>(١١)</sup> الباريسية قد لمح في تقريره إلى هذه الفرضية إلا أنه لم يقف عندها كثيراً<sup>(١٢)</sup>.

ذلك التجاوب الكبير للبرجوازية الفاسية مع الحماية، التي رأت فيها إحدى الأدوات الخادمة لتطلعاتها<sup>(٣٣)</sup>. وعليه فإن غياب التخطيط أو التواطؤ بلغة المؤرخ الفرنسي، تظل الأطروحة الأقرب لتفسير هذه الثورة الوطنية. إلا أن هذا لا يمنعنا من القول بأن فرضية التلقائية لا تنطبق سوى على بدايات الثورة، وخاصةً في مرحلتها الحضرية، لأنها ما إن برحت مركزها الحضري لتشمل المحيط القبلي، أي حين أصبحت ثورة فلاحين، دخلت منعطفاً جديداً خضع فيه مسارها للتوجيه والتخطيط، شأنها في ذلك شأن أي ثورة عرفها التاريخ الإنساني في انتقالها من التأثير والدعاية إلى تنظيم العمل المباشر<sup>(٣٤)</sup>، لقد كانت المرحلة الحضرية مرحلة اختمار تعتمد وسائل الدعاية والعمل العفوي المحدود، لأنها ثورة بلا رأس، ولم تدخل مرحلة العمل المنظم إلا حينما تجاوزت إطارها الحضري.

نلمس هذا التجاوز للإطار الحضري من خلال التعبئة التي عرفتها القبائل المتناثرة جغرافياً الواحدة تلو الأخرى، فقد انتفضت قبائل آيت يوسي وآيت شغروشن على ضفاف نهر سبو، وهددت قبائل زيان عين اللوح، واجتمعت قبائل الحياينة و التسلول والبرانس نواحي فاس، وعينت قبائل بني امطير قوادها العسكريين<sup>(٣٥)</sup>، وتشكلت بتازة حركة من حوالي ثلاثة آلاف تائر<sup>(٣٦)</sup>، وبلغ التخطيط ذروته بالاجتماع الذي شهده منتصف شهر ماي شرق فاس لقبائل الحياينة ولمطة وأولاد الحاج والشراردة والتسلول والبرانس وبني سادن وبني وراين، وقد جعلت هذه القبائل ذوات الأصول المختلفة من عرب وبربر من أهدافها تحرير السلطان "أسير الفرنسيين" وإلقاء المستعمر في البحر<sup>(٣٧)</sup>.

إن الرغبة في تحقيق أهداف الثورة جعلتها تخضع لتخطيط محكم، بخلق قيادة موحدة وبعقد اجتماعات لتدارس الخطط والغايات، فلأول مرة تنصهر قبائل النائية والكيش والسيبة في بوتقة الوطنية متعالية عن القطائع التاريخية المؤسسة على الأحقاد والتميزات الإثنية، ثم تقوت الثورة الوطنية بالتحاق موجة من العساكر الفارين من سلك الجندي<sup>(٣٨)</sup>، مهددين المحتل بتشكيل داخل الثورة أنوية منظمة لديها القابلية لوضع عمليات عسكرية وفق النمط الأوروبي الحديث، مساهمين في نفس الوقت في ردم هوة النفور المتوارث بين الفلاح المغربي والعسكري، فقد ذاب واندمج العنصر العسكري في صلب الواقع البدوي، الذي طالما كان غريباً عنه<sup>(٣٩)</sup>.

قامت أطروحة التخطيط على عدد من المسوغات، منها ترك باشا فاس الجديد "بالمحمد الشرقي" الملاح عرضة للنهب والسلب، وعلى سلبية باشا فاس البالي "أحمد المقرري"، في تعامله مع الأحداث، بعدم إغلاقه أبواب المدينة في وجه الثوار، إلا أن هذين التبريرين لا يصمدان كثيراً إذا علمنا أن الرجلين قد قاما فعلاً بإنقاذ عدد لا يستهان به من المؤطرين العسكريين والمدنيين الأوروبيين، كما قامت هذه الأطروحة على فرضية دعم المخزن والفئات المرفهة والطبقات المتوسطة على دعم الثورة والتخطيط لها بتخوفهم من فقدان امتيازاتهم بتغيير الأوضاع بفرض إصلاحات ستضر خاصة بامتيازات العلماء والشرفاء وكبار التجار. يدفع أصحاب هذه الأطروحة لتبريرها بالقول بتخوف العلماء من فقدان سيطرتهم الإيديولوجية على المجتمع، المؤسسة على التشريع والإفتاء فيما تعرفه ساحته من مستجدات، أما الشرفاء فقد تحوفوا من فقدان الرأسمال الرمزي، الذي يحوزونه لانحدارهم من سلالة النبي، أما كبار التجار فقد رأوا في الإصلاحات تهديداً لامتيازاتهم الطبقيّة كالإعفاء من الضرائب والحق في عدم التقاضي أمام المحاكم المغربية، بموجب قانون الحماية الدولية، باعتبارهم محميين دوليين، وبذلك ترى هذه الأطروحة أن الفئات الثلاث المذكورة قد استغلت تعصب الفئات السفلى من المجتمع "الرعاع"، وميلها للنهب والسلب والقتل، فدفعت بها في طريق الثورة، تقودها في ذلك الرغبة في إشباع غرائزها المتعطشة للانتقام من عدوها التقليدي "المسيحي".

بعد عرضنا للأطروحة المعتمدة على الرواية الرسمية<sup>(٤٠)</sup> وأطروحة العسكر، وباستقراء الوثائق المتوفرة لدينا عن ثورة فاس الحضرية<sup>(٤١)</sup>، يتبين أن دوافعهما كانت أساساً بسبب التجديدات، التي أدخلها المحتل، ولم يراع فيها التدرج الزمني، فرأى هؤلاء العساكر في بعضها تدميراً لهويتهم الجمعية، وعصفاً بهياكلهم التقليدية، ومسا خطراً بتراتبيتهم العسكرية، وتهديداً لوضعهم الاجتماعي، والشيء نفسه يمكن أن نقوله عن العلماء والشرفاء، مما يرجح فرضية انطلاق الثورة بشكل عفوي لكن سرعان ما تم تبنيها من طرف هؤلاء أو على أقل تقدير تعاطفوا معها.

من خلال استقراء الوقائع التاريخية المستنبطة من الصحافة الفرنسية المواكبة للأحداث، يتبين أن القيادة المخزنية ومعها كبار التجار لم تتجاوب بأي شكل من الأشكال معها<sup>(٤٢)</sup>، واعتبرتها لا تختلف في شيء عن الفتن، التي طبعت مسار التاريخ المغربي، وكانت محل حنقها وكرهيتها، حجتنا في

**المرحلة الثانية "منتصف يوليو/ منتصف غشت ١٩١٢":**  
اندفعت الثورة نحو الشمال حتى مراكش، التي دخلها دون حرب تذكر، ويرجح دانييل ريفي ذلك إلى المساومات البارعة<sup>(٧٧)</sup>، التي أجراها مع كبار القياد، في حين أرجعت الجرائد الفرنسية عجز القيادة على وقف تنامي الثورة وزحفها نحو الشمال على ضغط الجماهير الشعبية، التي أرغمت كل من الكندافي وعيسى بن عمر وأنفلوس على الوقوف مكتوفي الأيدي أمام موجة الثورة الصاعدة، أما كبار الشخصيات الأرسقراطية والمخزنية والعسكرية فقد أجبرت على الانضمام للثورة<sup>(٧٨)</sup> الآخذة في التحول الكبير بدخول قائدها مراكش، و خلال هذه المرحلة فقدت الثورة أهم خصائصها بتحولها إلى دولة.

**المرحلة الثالثة "١٥ غشت/ ٥ شتنبر ١٩١٢":** بلغت الثورة أوجها خلال هذه المرحلة، وفي أجواء الليالي الرمضانية المضمة بالنفحات الروحية، وصل صدى الثورة إلى أبعد مدى، مبشرة بدولة دينية آخذة في التشكل على هيئة مؤسسية مع استقرار الهيئة بمراكش. فرض الهيئة نفسه كسلطان محرر في كل المناطق الساحلية<sup>(٧٩)</sup> إلى حدود مازاكان باستثناء المناطق الساحلية الخاضعة للقايد عيسى بن عمر، وبتدالة تعبأت القبائل لتمهيد الطريق له نحو فاس، أما بنو مطير فقد اتفقوا مع موحى أوحمو الزياني لشن هجوم على مكناس، وبالشاوية الخاضعة للمخزن حمل أهلها السلاح<sup>(٨٠)</sup>، يملأهم يقين راسخ بأن الوقت قد حان لمواجهة المحتل.

إن هذه المراحل الثلاث تبرز أن الثورة الوطنية بقيادة أحمد الهيئة كانت تخضع منذ البداية لمنطق التصميم والتخطيط، فأهدافها ببناء دولة جديدة، كانت واضحة<sup>(٨١)</sup>، مستغلة النسق الاجتماعي والسياسي الأشبه بالنظام الفيودالي الذي ساد الجنوب المغربي<sup>(٨٢)</sup>.

## ثانيًا: الفاعلون في الثورة الوطنية المغربية

كانت ثورة فاس في مرحلتها الحضرية قبل امتداداتها القبلية/ البدوية ثورة شعبية بلا رأس، لكونها كانت تدين في اندلاعها لحادث عفوي، كما برهنا على ذلك من قبل. التحم فيها الغضب الشعبي المستعر بالرضا التام لبعض أفراد النخبة المخزنية<sup>(٨٣)</sup>، والنخبة الفاسية من الشرفاء والتجار والعلماء، التي لا ندعي دعمها للثورة كما يذهب إلى ذلك دانييل ريفي، وإنما نقول فقط بتعاطفها نتيجة إقصاء السلطان لهم من المفاوضات مع البعثة الفرنسية بقيادة رينيو، أثناء فرض

إن دور ثورة فاس في تعميم الثورة الوطنية المغربية على باقي مناطق خريطة المغرب، يظل معطى عصيا على التجاوز، فباستقراء الوقائع التاريخية كما تناولتها الصحافة الفرنسية المواكبة للحادث، ندرك كيف منحت هذه الثورة قبلة الحياة لحركة المقاومة بالجنوب المغربي، التي كانت على وشك الانطفاء، بعد الهزيمة التي تلقته المقاومة بقيادة الشيخ ماء العينين، المتوفى سنة ١٩١٠، على يد قوات أوبير<sup>(٨٤)</sup>، فنضب على إثرها معين الهدايا والزيارات، ليموت الشيخ منبوذًا في عزلته القاتلة<sup>(٨٥)</sup>. مع ثورة فاس، تجاوزت الثورة الوطنية المغربية بالجنوب طور الدعاية والتأثير، لتدخل طور التنظيم والعمل المباشر، فمن المعروف أن أحمد الهيئة قد استغل الشائعات والأخبار الرائجة عن أحداث فاس ١٩١١، لإعادة الهيئة لحركة والده المنطفئة، فأشاع خبر وفاة السلطان المولى عبد الحفيظ، ومنع إقامة صلاة الجمعة باسمه بالمسجد الأعظم بتزيت، وأعلن نفسه إمام الزمان، أي المهدي المنتظر، وقائد الجهاد. وبعد أسبوع من هذا دخل مسجد تزيت متخذًا جميع شارات السلطنة الشريفة "المظل الإمبراطوري والعرش المرصع بالذهب"<sup>(٨٦)</sup>، ضافيًا على نفسه في نفس الوقت نفحة دينية/ غيبية بادعائه المهديوية. انطلقت ثورة الهيئة الوطنية، بعد أن استوفت الطور الأول، المميز بالدعاية والتبشير وحشد الأنصار والخلفاء، لتدخل طور العمل المباشر. تنامت الثورة بشكل تصاعدي، وتضخمت بالأعداد الهائلة المنظمة إليها.

من نافل القول إن رغبة الهيئة في السلطة، والبحث عن مخرج لتحقيقها، كان أحد أبرز العوامل، التي يمكن أن نستدل بها على التخطيط لثورة الهيئة. فما هي أهم سمات التخطيط في ثورة الهيئة، بالرجوع إلى الاستقراء الكرونولوجي لثورة الهيئة استنادًا على الصحافة الفرنسية، يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل مع تبيان معالم التخطيط والتصميم خلال كل مرحلة:

**المرحلة الأولى "ماي/ يونيو ١٩١٢":** تمكن خلالها من فرض نفوذه على سوس<sup>(٨٧)</sup> والسفح الجنوبي للأطلس الغربي، باستثناء تازورالت وماسة<sup>(٨٨)</sup> وحاحة<sup>(٨٩)</sup> المناطق الخاضعة للقايد أنفلوس، ونفس الشيء. يمكن أن نقوله عن القبائل الخاضعة لنفوذ المتوكي، التي ظلت بمنأى عن حمى الثورة. وخلال هذه المرحلة بدأت الثورة تنحو منحى جديدًا بإضفاء طابع الدولة عليها، وإن كان الأمر لا يزال في مرحلته الجنينية، فقد بويح سلطانا على تارودانت من طرف قايدها يوم الجمعة ٢٦ يونيو ١٩١٢<sup>(٩٠)</sup>.

وباستنطاق مكونات العناصر الفاعلة في الثورة الوطنية المغربية سواء في انطلاقاتها الحضرية أو في امتداداتها البدوية، يتضح أنها مزيج من عدة مكونات، من حرفيين وطوائف دينية وروابط مهنية "أصحاب الدكاكين و الحرفيين التقليديين"<sup>(٤١)</sup>، فالمكون الشعبي يظل حاضرًا بقوة في الثورة الوطنية المغربية، فأخلص الناس إيمانًا بأهداف الثورة بالجنوب من الفاعلين فيها نجد المريريين، الذين تسميهم المصادر الفرنسية بالطلبة<sup>(٤٢)</sup>، وبعض القياد الكالولي<sup>(٤٣)</sup> والتريعي<sup>(٤٤)</sup>، أما التجار فقد اكتفوا في أحسن الأحوال بموقف المنتظر المتردد.

فقد اتخذ كبار تجار فاس موقف المترقب، أما بمراكش حيث قام الهيئة بمصادرة منازلهم لإيواء جنده، فقد كتموا مشاعرهم في صدورهم إزاء الثورة، والوحيدون الذين أبدوا موقفًا عدائيًا واضحًا إزاء الثورة، فكانوا كبار تجار الدار البيضاء باقتراحهم قطع الطريق على محلة مرييه ربه، المعسكرة بالرحامنة، بواسطة غارة خاطفة لخيالة عبدة انطلاقًا من آسفي، تحت قيادة عيسى بن عمر، ويرجع دانييل ريفي موقفهم هذا إلى تخوفهم من وقوع مراكش تحت طائلة السلب والنهب تمامًا مثل ما حدث للدار البيضاء سنة ١٩٠٧<sup>(٤٥)</sup>.

إن خذلان الثورة من طرف فاعليها المرهقين سوف يتعمق بشكل جلي بعد هزيمة سيدي بوعثمان، فقد تحلى عنها تقريبًا جميع كبار قادتها "أعضاء المخزن الذي أسسه الهيئة"، الذين فروا مع زمرة من الصحراويين ليستقروا بسوس إلى الأبد. عبر الناجون من الموت من أهل الصحراء وسوس جبال الأطلس، بعد أن حظر عليهم الإقامة بمراكش<sup>(٤٦)</sup>، والملاحظ أن التعامل اللين للقائد عمر السكتاني، الذي لم يهتبل هزيمة سيدي بوعثمان لمطاردة الثوار بدعم وجهة نظرنا في كون النخبة المغربية لم يتجاوز دعمها للثورة نطاق العواطف والمشاعر، فالقائد السكتاني لم يجهز على الثوار في محتهم مخليا سبيلهم. هناك فاعل آخر غالبًا ما يتم التغاضي عنه، ويتمثل في هذا العنصر المتحمس درجة العصاب والهديان، من الأطفال والنساء والشيوخ لاعتقادهم المنقطع النظر بقداسة الثورة. وهو الفاعل الذي احترق بلهيبها، لقد ذهبت معركة سيدي بوعثمان، التي وضعت حدًا لثورة الهيئة، معلنة موتها وتحولها لمجرد حركة للمقاومة حتى وفاته سنة ١٩١٩، بألفي شهيد. كانت مذبحه عظيمة، تمت تحت شمس الزوال اللاهبة، للحفاة العراة، الذين لا يملكون من الوطن إلا حبه الذي يجري في عروقهم. ففي صبيحة ٥ شتنبر ١٩١٢، اشتبكت القوات الفرنسية المكونة من أربع مئة جندي بقيادة مونجان<sup>(٤٧)</sup> بقوات الهيئة

الحماية على المغرب، فرأت في ذلك تهديدًا لامتيازاتها وحيانة لعقد البيعة "بيعة ١٩١١" وضربًا عرض الحائط لمبدأ الشورى الإسلامي. ويبقى السؤال المطروح هنا هل كان المخزن فاعلاً ثورياً، أم مجرد متفرج منفعل بها، الحقيقة أن دانييل ريفي يبرأ المخزن من التواطؤ مع الثوار، أي أنه ليس فاعلاً ثورياً بلغتنا، ويرى أن إقحامه في اللعبة قد جاء نتيجة لحقد وكراهية العسكريين الفرنسيين له، فنقض حججهم الواحدة تلو الأخرى، جاعلاً من موظفي البنيقات الفاعل الحقيقي وراء تعميم الثورة، وإخراجها من إطارها المطليبي الصرف لمجموعة من العساكر، والارتقاء بها إلى مستوى ثورة شعبية، وقد جاء تبنيهم للثورة وانخراطهم في صفوفها كفاعلين عبر تعميمها نتيجة لتهميشهم من طرف مؤسسة الحماية، خاصة من طرف مصلحة الاستعلامات، فبعثوا برسائل ممهورة بخاتم المخزن<sup>(٤٨)</sup> تدعو كل من الطوابير المتناثرة على جغرافية المغرب وكبار القياد للانضمام إلى الثورة، الذين ظلوا عمومًا على الحياد<sup>(٤٩)</sup>.

إذا صدقنا دانييل ريفي فيما يتعلق بموظفي البنيقات، نكون إذن أمام فاعلين غير متوقعين، وإن كان هو نفسه يدفع بفرضية تورط تلك الفئة في تعميم الثورة خارج إطارها الجغرافي وخارج وقودها البشري، على سبيل الترجيح فقط. إذا كنا قد عرفنا أسباب التحاق هذا الفاعل بالثورة، فإن أسباب التحاق فاعل آخر بالثورة، وإن بقي إخلاصه للثورة موضع شك لدينا<sup>(٥٠)</sup>، ممثلًا في التجار والشرفاء والعلماء، دائمًا وفق دانييل ريفي، يرجع إلى تخوفهم من فقدان امتيازاتهم: - تخوف التجار من الخضوع لضريبة الترتيب. - خشية العلماء من فقدان التحكم في المجتمع، باعتبارهم مراجع في إصدار الأحكام الشرعية التي من خلالها يمارسون نفوذهم الإيديولوجي على المجتمع. - تخوف الشرفاء من فقدان امتياز الإعفاء الضريبي والقضائي<sup>(٥١)</sup>.

إذا كانت مساهمة موظفي البنيقات في إشعال أوار الثورة، ونثر جذوتها خارج نطاقها الحضري، تقوم فقط على الترجيح، فالثابت هو الحضور المميز لفاعل جديد، غير متوقع بسبب خضوعه لتكوين عسكري لا يدين بالولاء إلا للمؤسسة العسكرية الاستعمارية وللحماية المتخفية وراء شرعية السلطان، هذا الحضور الذي نسجله بانضمام جزء من عساكر الطوابير الفرنسية المنتشرة بربوع الإمبراطورية الشريفة، التي استجابت لنداء الثورة، فقادت الانشقاقات أحيانًا في وقت اندحرت فيه الثورة المغربية، مما يشي بالطابع البطولي والقدر المأساوي لهؤلاء الجند المغاربة، خاصة بالغرب<sup>(٥٢)</sup> والجنوب<sup>(٥٣)</sup> وكذا بعض قياد الجنوب<sup>(٥٤)</sup>.

القائد بعدم نهب الفاسيين وعدم التعرض إلا للفرنسيين من الأجانب. لكن رغم هذه الجدة التي وسمت الثورة الوطنية المغربية، في معانقتها للعلماني في آخر محصلاته، إلا أننا عند فك رموزها، نجد لها صناعة كلاسيكية، وإن اعترافا نوع من الفرادة، فقد ظلت ذات مضمون كلاسيكي، لأنها كانت ذات حمولة إيديولوجية جهادية مستندة على رؤية تقسم العالم إلى جزأين متضادين: دار الإسلام ودار الكفر. فهي لم تكن حركة مضادة للمخزن، سببه يتولد من رحمها محاولة لبروز سلالة جديدة، فحتى ثورة الهبة لم تكن واضحة فيما يتعلق بهذا الجانب كل الوضوح، فقد اعترافا التردد والتقية، اعتمدت خطابين مختلفين، فقد خاطب الشيخ العالم الخارجي وتعامل معه كسلطان، وخاطب وتعامل مع أتباعه وأنصاره كشيخ، وظل حتى وهو يتبنى جميع شارات السلطنة، يروج بين أصحابه أنه مجرد خليفة لأحد أبناء تافيلالت المنحدر من صلب نفس السلالة الحاكمة.<sup>(٥٤)</sup>

تميز الاستيعاب للإنساني العلماني في الثورة الوطنية المغربية بالضبابية، سواء تعلق الأمر بالمستوى السياسي أو العسكري، فتورة الحجامي كانت تعبيرًا عن اللابيقين، عن التردد، وعن الانتظارية. فالحجامي لم يكن روكيا، وفي نفس الوقت لم يكن مرتبطا بالسلطان، أو متحالفا معه، ولكنه في نفس الوقت لم يشن هجومه على قصر السلطان<sup>(٥٥)</sup>. من هنا تلمس ضبابية موقف الحجامي، فهو لم يسعى إلى تغيير النسيج المجتمعي أو تغيير الهيكل السياسي، لقد كانت غايته القصوى تتمثل في التحرر لا الحرية، وهذه إحدى معضلات الثورة الوطنية المغربية لأنها لم تسر على خطى الثورات الكبرى التي استهدفت تحقيق التحرر والحرية<sup>(٥٦)</sup>. وتتعمق كلاسيكية الثورة الوطنية المغربية في ادعاء كل من الحجامي والهبة للمهدوية، واعدان الأتباع بمنحهم القدرة على امتلاك أجساد فوق بشرية لا تتأثر بالرصاصة وقذائف الكفار.

إن فقدان الثورة الوطنية المغربية لأهداف وغايات كبرى على شاكلة الثورات العظيمة التي عرفها التاريخ الإنساني، هو الذي دفع المؤرخ الفرنسي دانييل ريفي يرى في ثورة الحجامي، رغم اعترافه بفرادتها مجرد ثورة بدوية صرفة، ثورة فلاحين ضد كبار الملاك عبرت عن نفسها في غليان صاحب عرفته ضواحي فاس، وفي إحراق قرية بامحمد الشرقي ببلاد شراكة، وفي نهب مخازن الحبوب. ويستند في كونها مجرد ثورة بدوية، لا تخرج عن صراع بين الفقراء من الفلاحين المعدمين وكبار الملاك والبرجوازية الحضرية، على رد الفعل الراض الفزع لهؤلاء، وهو

بسيدي عثمان. كانت قوات الهبة رغم توفرها على طابور وعدد قليل من المدافع واثني عشر ألف من المشاة والفرسان، إلا أنها لم تكن توجي بأنها قوات منظمة، لقد كانت عبارة عن موسم<sup>(٥٨)</sup> نصفه من الأطفال والشيوخ<sup>(٥٩)</sup>، أغلبهم من العزل غير المسلحين إلا بجبال لتقييد الرومي، ولم يكن سلاح الفرسان سوى استعراض فخم للألعاب الفروسية، تلاشت مع أولى طلقات المدفعية والرشاشات الفرنسية الثمانية، أما باقي قوات الهبة فقد اندحرت وتراجعت تحت حماس واندفاع الخيالة من السنغاليين والكووم.<sup>(٦٠)</sup>

## ثالثاً: الثورة الوطنية المغربية بين الإنساني/ العلماني والميتافيزيقي/ الغيبى

إذا كانت الثورة الوطنية المغربية قد تمت في إطار الزمن العلماني، فإنها قد تلفعت بمسوح دينية مفارقة للواقع. هذه المفارقة بقدر ما وجدت لها بيئة حاضنة، تقبلت خوارقها ومعجزاتها واحتضنتها بحرارة، بقدر ما كانت موضع ريبه بعض المغاربة وسخرية المستعمر<sup>(٦١)</sup>. ويمكن تحليل التجربة الثورية لكل من الهبة والحجامي على ضوء طرفي المعادلة: العلماني/الإنساني والميتافيزيقي/ الغيبى.

فالهبة الشعبية التي فصلنا في مفرداتها وفق تصورها لمفهوم الثورة، سرعان ما دخلت في تشكل سياسي موحد تحت تأثير الشريف الحجامي، الشخصية الغامضة، المنحدرة من بني زروال، وأحد أتباع الطريقة الدرقاوية، وذلك في مرحلة الامتداد القبلي لثورة فاس وتحولها لثورة فلاحين. وتلمس هذا الانتماء للزمن الإنساني/ العلماني في أفعه المادي المحض، في قيادته لعمليات منظمة، منضبطة وفق تكتيك عسكري غاية في الإلتقان. فقد تحصل كورو<sup>(٦٢)</sup> داخل خيمة الشريف، حين تم الاستيلاء عليها، في فاتح يونيو على سلسلة من الوثائق الدالة على وجود قيادة عسكرية حقيقية، وعلى نظام عمليات موضوع على أساس علمي دقيق<sup>(٦٣)</sup>، وهو الأمر الذي أثار دهشة ليوطي، فأبدى استغرابه برؤيته وللمرة الأولى لوثيقة عسكرية أهلية تتناول بشكل دقيق وبذكاء خططا تكتيكية تستجيب لضرورات واحتياجات الخطط العسكرية.

نلمس كذلك هذا الاستيعاب للإنساني/ العلماني، والرضوخ لمتطلباته في الثورة الوطنية المغربية في وجود قوات متلاحمة، ذات علم واحد، وروح واحدة، واجهت العمليات التي استهدفت فك الحصار عن فاس بقيادة كورو وفي الانضباط لتوجيهات

فالتعلق بالغيبي والمطلق لعب فعلاً دوراً كبيراً في منح الثورة الوطنية المغربية زخماً وتألقاً في بداياتها، لقد حرر أعماق الشعب المغربي المصدوم بالاجتياح الفرنسي، تعلقت الأحلام بأسطورة السلطان المخلص، أسطورة تشبث بها الشعب المغربي كتعويض نفسي عن القهر والبؤس وسوء الحال المتعذر تجاوزه باتخاذ الأسباب المادية للتأخر التاريخي القاهر إزاء الخصم، لكن هذا التعلق الغيبي سرعان ما تحول إلى عبء ثقل على الثورة حينما همت بالتحول إلى دولة، وقد كان الهيبة على وعي بهذه الخطورة لذلك ظل ملتبسا في تعامله مع الأتباع، وتعاطم هذا العبء عند الهزائم والانكسارات، فتعرضت بركة الهيبة لهزات عميقة دفعت به إلى تجنب الناس، والانعزال بعيداً عن الأعيان، تاركا لأتباعه الحرية في تأول الأحداث ووضع التفسيرات لإقناع الجاحدين والمتشككين<sup>(١٢)</sup>.

إن انغراس الثورة الوطنية المغربية في الغيبي، وضعها على حافة الفشل، رغم أخذها بالأسباب المادية، وأحياناً بشكل واع، وارتباطها بالديوي في أكثر تجلياته وواقعيته المفرطة، فتحول ثورة الهيبة من ثورة إلى دولة بيروقراطية بمراكز جعلها مهددة بالاندثار، وكان الرجل على وعي بخطورة هذه المرحلة الانتقالية، كما تم الإشارة إلى ذلك من قبل. لقد كان حريصاً على الحفاظ على شهر العسل الوهمي للتناهي المستحيل، الواقعي والمثالي<sup>(١٣)</sup>، يتبين ذلك في تردده في اتخاذ شارات المخزن/ السلطان بشكل واضح لا لبس فيه، فقد توجه إلى العالم الخارجي كسلطان، وفي نفس الوقت حرص على التخلص تماماً من مصطلحات ومفردات القاموس المخزني في تعامله مع شيوخ القبائل<sup>(١٤)</sup>. حرص على استخدام مصطلحات ومفاهيم منحوتة من قاموس الإخاء والحب، وهي مصطلحات غريبة عن القاموس المخزني، قريبة من الأدبيات الصوفية، كما عامل دائرته الضيقة كأمر وليس كسلطان.

عانت الثورة في زمنها العلماني وهي تتحول إلى دولة من عدم التحاق النخبة العسكرية والمثقفة "العالمية" بها بمراكز، ولا يمكن تفسير تلكتها إلا بلعبها على الجبلين، فقد كانت تكتفي بالمحابة والتعاطف، تحت ضغط الجماهير، وفي نفس الوقت لم تكن مستعدة للمجازفة بالورقة الفرنسية. هنا يطرح علينا سؤال لماذا لم يمارس مخزن الهيبة جاذبيته على النخبة الحضرية، واكتفى بالمنخرطين في سلك الجندية من ذوي الرتب الصغيرة، ومن أتباع الطريقة، وأبدي كبار التجار، إزاء الثورة، نفورهم أو كراهيتهم أو على الأقل انطوا على مشاعرهم المكبوتة<sup>(١٥)</sup>. في رأينا أن عجز الثورة الوطنية المغربية عن

ما سجله أحد الضباط الفرنسيين، حين تحدث عن الصيحات التي تعالت حول باب جيسة، ليلة ٢٥-٢٦ ماي، بالشكر والامتنان للقوات الفرنسية بإنقاذها لمدينة فاس من الاكتساح البدوي، المههد لممتلكاتهم بالسلب والنهب<sup>(١٦)</sup>، وهي نفس الأجواء التي سجلتها الصحافة الفرنسية<sup>(١٧)</sup>، وبذلك وضعت هذه الحوادث حداً لذلك الاتحاد النادر الذي عرفه شهر أبريل بين فاس ومحيطها القبلي.

من الملاحظات المسجلة حول الثورة الوطنية المغربية في تمزقها بين العلماني والغيبي هو هذه القواسم والقطائع بين مختلف مكوناتها، فثورة الحجامي شبيهة تماماً بثورة الفشتالي "صيف ١٩١٢" وعلى طرفي النقيض مع ثورة الهيبة، فعلى الرغم من استنادهما على المرجعية الدينية بادعاء المهودية للأول وإتيان أعمال السحر وبعض البهلوانيات وأعمال الخفة للثاني<sup>(١٨)</sup>، وتنامي ثورتيهما البدوية إلا أنهما لم يستطعا على المستوى العلماني خلق القطيعة والاستقلال بنفسيهما للخروج من الدائرة المكرورة النمطية للثورات البدوية ضد السلطة المركزية، وإن كانت ثورة الحجامي قد غيرت من أعدائها المستهدفين، إلا أن جوهرها لم يختلف عن الثورات المغربية المعتادة، فقد أبانت في أكثر من مرة على أنها مجرد ثورة ضد كبار الملاك وضد البرجوازية الفاسية، كما أبانت على محدودية أفقهما السياسي. أما ثورة الهيبة فقد كانت أكثر وضوحاً في أخذها بالعلماني على المستوى السياسي، إذ سعت إلى تغيير الهيكل السياسي، فقد تخلت الهيبة عن كل رموز العهد السابق، أحرقت النزالات، وألغى الضرائب غير الشرعية، ولم يعترف بالظواهر الموقعة على عهدي المولى عبد العزيز و المولى عبد الحفيظ<sup>(١٩)</sup>، في حين كان أقل علمانية على مستوى التخطيط العسكري مقارنة مع ثورة الحجامي، فقد تشكلت غالبية قواته العسكرية من الفلاحين والمعدمين والمساكين، وحتى عسكريه فإن تكوينهم العسكري كان عتيقاً لم يخرج عن التكوين الذي تلقاه الجيش المغربي على عهد المولى الحسن الأول. فالتعلق غير الواعي والمتذبذب بالعلماني للثورة المغربية جعلها شديدة الهشاشة والعطب، تعمقت جراحها بتعلقها بالغيبي المطلق، وفي استنادها على كاريزما القادة المهتدة بالعطب، المعرضين لفقدان هيبتهما ما أن يتم تحول الثورة إلى دولة، ومن أسباب الضعف الكامنة في أعماق الثورة الوطنية المغربية كذلك قيامها على البركة، فقد كانت مطالبة باستمرار باجتراح المعجزات، مما جعلها موضع سخرية واستهزاء الخصوم<sup>(٢٠)</sup>.

نلمس احتكام الثورة في تأطيرها لمرجعية الوطنية الجهادية، أنها على الرغم من مظاهر الغضب الحاد، الذي طغى على صفوف الجماهير، إلا أنه كان مؤطرًا بشكل جيد. فقد توجه الغضب الشعبي، واتخذ هدفًا له الفرنسيين والجزائريين العاملين في صفوف قوات الاحتلال والمغاربة المرتبطين بالاستعمار، فلم يسجل ترهيب مغربي واحد من سكان المدينة أو من الأوروبيين غير الفرنسيين. ورغم ذلك فإن دانييل ريفي يقلل من نقائها الثوري ومن طهرانياتها، فجعلها لا تخرج عن دائرة التمردات، التي كانت تشهدها البوادي المغربية، بشكل دوري، ضد السلطة المركزية<sup>(٧٦)</sup>. ومن المفارقات العجيبة التي يخرج بها المؤرخ الفرنسي عن ثورتي فاس والحجامة، اللتين نعتيرهما ثورة واحدة، أنه على الرغم من نفيه لعنصري القيادة والإيديولوجيا عن الأولى إلا أنه يسمها بالثورة، ويرى عكس ذلك بالنسبة لثورة الحجامة، يراها جهادا في لبوس ثورة، فهو ينفي عنها النفس الثوري على الرغم من توفرها على عنصري القيادة والإيديولوجيا، وبالتالي فهي ذات فعل واع، ويجعلها مجرد تمرد ضد الحكم الأجنبي المركزي، لا تخرج عن دائرة التمردات القبلية، رغم اتخاذها للأجنبي المحتل هدفا لها. فما الذي يجعله يقف منها هذا الموقف، ربما يرجع ذلك في نظرنا إلى سيطرة فكرة المهودية عليها، وشطرها للعالم إلى شطرين، في صورة مانوية مبسطة، رغم تنبهه إلى أن الحجامة لم يجعل هدفا لثورته سوى المعتدين، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية، لقد استعدى رجاله على الجزائريين والمغاربة المسلمين المتواطئين مع المحتل، وسالم الأجنبي من غير الفرنسيين، إن هذه النظرة الإنسانية المتعالية على الأحقاد التاريخية المتولدة عن الحروب الصليبية، لم تستدر تعاطفه، لأنها ببساطة هددت الوجود الفرنسي. الوليد وكادت أن تقتلع جذوره.

إذا كان اندلاع الثورة يرتبط بطبيعة العواطف المسيطرة على وجدان الشعب أو الجماهير<sup>(٧٧)</sup>، فإن هذا العنصر نجده بارزا كل اليوم، يفعل فعله في تأجيج الثورة الوطنية المغربية. فالخوف الذي دب في قلوب ساكنة فاس، وهم يرون السلطان يغادر مدينتهم صوب الرباط، وخشيتهم من تحويل الرباط عاصمة للمغرب عوضا عن فاس، كان وراء تأجيج غضبهم اتجاه الحماية، لتخوفهم من غياب الوسيط، ممثلا في السلطان، بينهم وبين المستعمر، وخشيتهم من وجودهم وجها لوجه مع السلطة العسكرية، التي لامسوا عن قرب مدى قسوتها وغطرستها، وغياب الحس السياسي لدى قادتها. امتزجت

التحول إلى دولة واجتياز المرحلة الانتقالية بين الثورة والدولة بنجاح وتحقيق أهدافها في الحرية والتحرر يرجع إلى عجزها عن التوفيق بين العلماني/الإنساني والميتافيزيقي/الغبي، فالفهية مثلا كان في تعاملاته لا يحتكم إلا إلى السيف/السلاح الذي لم يتقن أبجدياته الحديثة، فخانه في معركة سيدي بوعثمان، ولم يعترف بأهمية التفاوض مع الخصم لأنه لم يكن سلطانا، ولأن التفاوض مع الجيوش الغازية يعد خيانة في أعين الثوار<sup>(٧٨)</sup> المتعلقين بمثاليات الثورة وقداستها.

## رابعًا: علاقة العواطف المسيطرة على وجدان الشعب باندلاع الثورة الوطنية المغربية

أشرنا فيما سبق إلى أن ثورة فاس قد افتقدت القيادة والتخطيط، وتحكمت فيها العواطف المتأججة، التي سيطرت على المغاربة، إثر توقيع عقد الحماية، وفقدان البلد لسيادته لصالح دولة أجنبية، إلا أن امتداد الثورة خارج إطارها الحضري لتتخرق المحيط القبلي، كانت عبارة عن منعطف جديد، اجتازته الثورة وهي تعبر مرحلة انتقالية من ثورة تلقائية إلى ثورة مخطط لها وذات قيادة. وترجع الصحافة الفرنسية هذا الامتداد الثوري إلى القلق النفسي وهيجان الخواطر بسبب الدماء الكثيرة التي أريقت بفاس<sup>(٧٩)</sup>، والأكد أن الثورة حين أصبحت تحت قيادة الحجامة، المدعي للمهودية، ومع تشكل حركة من حوالي ثلاثة ألف مقاتل نواحي تازة<sup>(٨٠)</sup>، وأخرى لا تقل أهمية بناحية صفرو<sup>(٨١)</sup>، وانشقاق طابور عرباوة والتحاقه بقبايل جبال<sup>(٨٢)</sup>، تجعلنا نقول إن هذه التحركات كانت تخضع في اندفاعاتها لقوة تتعالى على مجرد مشاعر السخط والغضب، وإنما تدين في ذلك لمرجعية إيديولوجية يمكن أن نطلق عليها الإيديولوجية الجهادية<sup>(٨٣)</sup>.

قد تدين الثورة في بداياتها، حينما كانت ثورة حضرية، إلى مشاعر الغضب والسخط المحض، الذي كان وراء هذا السيل العرم من شتى ألوان الطيف المجتمعي الذي اكتسح المدينة، لكن الإيديولوجية الجهادية كانت وراء تعبئة الجماهير داخل القبائل، خاصة وأن الثورة أصبحت تحت قيادة رجل ادعى المهودية، فالشعور الوطني هنا أصبح ذا مسحة دينية واضحة، هذا الشعور الديني سوف يتعمق مع اندلاع ثورة الهبة بالجنوب. دليلنا في اتخاذ الثورة من الإيديولوجية الجهادية مرجعا منه تستمد الشرعية، أن المغرب كله كان قبلها وبعدها على أهبة الاستعداد يضم سلاحه على صدره، حابسًا أنفاسه في انتظار إشارة السلطان لانطلاق الجهاد.

موقف الممتعض والمرتبب، باستثناء النخبة العالمية<sup>(٧٨)</sup>، وكانت هذه الذهنية الخرافية سببا في الانهيار السريع لحركته عند أول صدام مع قوات الاحتلال الفرنسي، في معركة سيدي بوعثمان، التي على إثرها تلاشت الجموع وتبخرت، وكان أول المتخلين عنه "مخزنه"، ولم يكن باعتقادنا أن انهيار ثورة الهبة نتيجة لتحويلها إلى دولة، كما يذهب إلى ذلك دانييل ريفي<sup>(٧٩)</sup>، وإنما السبب هو سيادة الذهنية الخرافية بين صفوف أنصاره، البعيدة كل البعد عن جوهر الإسلام في نقائه وتجرده.

رزع المغاربة تحت وطأة مشاعر الإحساس بالقهر والعنت، فخلال صيف ١٩١٢، عانت أغلبية الشعب المغربي من انهيار نفسي عميق، وانتابته حالة من حالات فقدان الهوية، وانهيار منظومة القيم، فأصبح الجميع أمام أزمة أخلاقية ووجودية بالدرجة الأولى. غمرت موجة اليأس حتى كبار الشخصيات، من النخبة المثقفة/العالمة والتجارية، فرسالة أحد كبار الملوك<sup>(٨٠)</sup>، التي اعترضت مصلحة الاستعلامات الاستعمارية طريقها، قبل أن تصل مجلة الحق، تنضح بالمرارة، كانت صرخة موجعة عاجزة. ونفس الرؤى القيامية نجدها عند المختار السوسي<sup>(٨١)</sup>، وفي أسفل المجتمع سيطرت حالة من القلق الجماعي، غدتها الثقافة الشعبية السائدة عن دنو ساعة الفناء، وتعمقت هذه المشاعر بالاختلالات التي كان يمور بها المجتمع المغربي.

### خامساً: تحليل النتائج

يتبين من خلال تشریح الثورة الوطنية المغربية، أنها تشترك مع الثورات الكبرى في خصائص وتختلف عنها في أخرى. فالصراع الطبقي، الذي يعد أحد أهم محركات الثورة<sup>(٨٢)</sup>، يظل حاضراً في ثورة فاس، التي يرى فيها دانييل ريفي ثورة فلاحين معدمين فقراء ضد كبار الملوك وضد البرجوازية الفاسية، كما لقيامها علاقة بانحطاط الطبقة الحاكمة<sup>(٨٣)</sup>، ويتعمق هذا الانحطاط بدخول الأخيرة في مفاوضات مع الجيش الغازي، مما يعد خيانة من الناحية النفسية، ومن مؤشرات هذا التدهور عدم قدرتها على استخدام القوة بمهارة لقمع المنتفضين<sup>(٨٤)</sup>، وهو ما دفع السلطان المولى عبد الحفيظ "١٩١١" للاستعانة بجيوش الاحتلال<sup>(٨٥)</sup>، ناهيك عن ارتباطها بطريقة جمع الضرائب وفرضها. فبالرجوع إلى المصادر الكولونيالية، يتبين لنا وحشية وعنف الدولة في الجبايات، التي تبلغ أحياناً حد قتل الرجال واغتصاب النساء<sup>(٨٦)</sup>. ونلمس هذا التشابه في تحول مظاهرات الشوارع والانتفاضات إلى ثورة<sup>(٨٧)</sup>، في ثورة فاس حين خرجت من إطارها الحضري، فأصبح لها برنامج عمل لتحقيق أهدافها وغاياتها، وكان في اعتناق وانحياز المولى الكبير<sup>(٨٨)</sup>، ابن عم

مشاعر الخوف بشعور وطني لا يزال في مرحلته الجينية، ذي مسحة دينية، وتعلق بالمكان، لا نستطيع تحديد طبيعة العلاقة ودرجة الحدود الفاصلة بينهما<sup>(٧٤)</sup>.

ساد المدينة كلها شعور بالعزلة المطلقة، وأنها تركت وحيدة في مواجهة مصيرها، عند خروج السلطان، فكان رد فعلها عنيقا فاسيا، فارتدت على نفسها في جنون تلتهم روحها. فقد استحوذ على الشعور الجمعي للمغاربة كون فاس المقدسة قد دنست بدخول المحتلين، وبخروج السلطان منها، فلا حرج إن تم تدميرها إلى آخر حجر فيها في عملية تطهر روحي عنيف، هستيريا جماعية، لقد كانت أكثر من مجرد تمرد حضري، كانت ثورة وجدانية ومادية عنيقة. يمكننا ملامسة طبيعة المشاعر وهيجان الخواطر، التي كانت وراء اندلاع الثورة المغربية في تمثل مشاعر العناصر الفاعلة في الثورة، وفي علاقة طبيعة المشاعر باهتزاز وضعها الاجتماعي:

- الفيلاليون: الذين رأوا في المس بالسلطان مسا بكرامتهم لانحذارهم من نفس السلالة؛

- السكان المهجرون من قسبة شراردة، لتوطين الطابور الفرنسي. ويمكن هنا تمثل مدى الإحساس بالغبن والغربة والمنفى داخل الوطن، الذي استحوذ عليهم، بسبب الاجتثاث الممارس عليهم من طرف الدخلاء؛ - نساء العساكر المتخوفات على مصير أزواجهن<sup>(٧٥)</sup>؛

- العساكر الذين رأوا في الإصلاحات تدميرا لهويتهم الجمعية، وتغيرا لولائهم من الولاء للسلطان إلى الولاء للمؤسسة العسكرية، التي كانت تستهدفها الإصلاحات، وحفاظاً على تلك الهوية ربطوا مصيرهم بمصير السلطان، وطالبوا في بداية الثورة بحماية السلطان وتحريره من قبضة الفرنسيين، ثم نادوا فيما بعد بمرافقته إلى الرباط، وحين تأكدوا أن السلطان لا يعدو أن يكون مجرد واجهة للاحتلال، اندفعوا في ثورة عنيقة يجللها اليأس والقنوط.

أما بالنسبة لثورة أحمد الهبة، فقد كانت المشاعر الدينية واضحة كل الوضوح، لوجود شخصية دينية على رأسها، تحيط بها هالة من الوقار لانتمائه الشريف، وخضوع زاوية كبيرة لنفوذ الروحي<sup>(٧٦)</sup>، ولادعائه المهدوية. تنامت هذه المشاعر في تسام مطلق مع طبيعة الذهنية الخرافية السائدة يومئذ، ثم تعززت مع دخول المخزن في مفاوضات مع الجيش الغازي، الأمر الذي يعد خيانة من الناحية النفسية<sup>(٧٧)</sup>، فانعكس ذلك على طبيعة أنصاره، الذين لم يكونوا إلا من المساكين والمعدمين والفقراء، في الوقت الذي اتخذت النخبة العسكرية والمخزنية وكبار التجار

السلطان، لقضايا الفئات الساخطة والمقهورة<sup>(٩٨)</sup>، مؤشرا على حدوث انقلاب في الوضع القائم، وهو الذي جسده سرعة امتدادات الثورة، لتشمل المغرب الشرقي وآسفي وقبائل الرحامنة والسراغنة<sup>(٩٩)</sup> ودكالة والشاوية وعبدة ونواحي فاس وتازة، وبلغ الانقلاب ذروته بقيام ثورة الهيئة بطموحها لتحقيق تغيير جذري مستغلة توقف دوران النخبة لكسب الساخطين إلى جانبها<sup>(٩٩)</sup>، فكان أولى الأعمال التي باشرها الهيئة، قيامه بعزل قياد المخزن وتعويضهم بآخرين من اختيار الجماعات، التي كان يؤسسها في كل منطقة أحضرها لنفوذها<sup>(٩٧)</sup>، إلا أن عطبها و عجزها عن الارتقاء إلى مصاف الثورات الكبرى، فيتمثل في عدم قدرتها على استمالة كبار العسكريين، مكتفية بأصحاب الرتب الدنيا، كما أشرنا من قبل، وبمن هم تحت السلم الاجتماعي من الأطفال والشيوخ والنساء، ممن تعوزهم التجربة والخبرة، والشيخ نفسه كانت المرحلة تتجاوز قدراته الإنسانية، فلم يمتلك القدرات الذهنية للتجار أو الخبرة الدبلوماسية للسلطان في التفاوض، وهي مرتكزات لا غنى عنها في نجاح الثورة<sup>(٩٣)</sup>، وفوق هذا فقد كان رجل دين ولم يكن رجل سلاح<sup>(٩٤)</sup>، وجد نفسه مجبراً على حمل الإرث الثقيل لعائلته بحكم الدم والانتساب البيولوجي، وقد ساعدته ثقافته الدينية على أن يكتسب إحدى صفات الثوري في قدرته على الحشد واستمالة الأتباع والأنصار في بدايات الثورة، لكن مع دخولها طور العمل المباشر والمواجهات الدموية، يجد رجال الكلمات صعوبة في التأقلم مع العمل الشاق، بل لا يصلحون له<sup>(٩٥)</sup>.

يبقى السؤال أين تتقاطع وتختلف الثورة الوطنية المغربية مع الثورات كما تم التنظير لها في الأدبيات الغربية المهمة بدراسة ظاهرة الثورة في التاريخ الإنساني، خاصة الأوروبي والأمريكي. فحثة أندرت ترى أن الثورة أكثر من مجرد تمردات ناجحة<sup>(٩٦)</sup>، ترى ماذا تعني بذلك؟ دون شك تقصد أنه لا يمكن الحديث عن الثورة إلا حين يحدث التحول، ويكون بمعنى بداية جديدة، وعليه فإننا لا يمكن أن نطلق صفة الثورة على أي شكل من أشكال العنف، إذ لا بد أن يرافق هذا العنف أو أن ينتج عنه حدوث تغيير ما. تغيير في النسيج المجتمعي أو في الهيكل السياسي، في هذه الحالة ماذا يمكن أن نقول عن الثورة الوطنية المغربية؟ الواقع على أن هذا الشكل من التغيير والتحول لا نجده إلا فيما يتعلق بالثورة الوطنية بالجنوب المغربي، بقيادة الشيخ أحمد ماء العينين، حقا أن الهيئة كان يعتبر عصره امتداداً لعصر المولى الحسن الأول، والواقع أن هذه الاستدارة إلى الوراء لا تشين ثورة الهيئة في شيء، فهذا

التطلع إلى استرجاع الماضي، حيث كانت الأمور كما يجب أن تكون<sup>(٩٧)</sup>، تظل قاسما مشتركا بين جميع الثورات بما فيها الثورة الأمريكية والفرنسية، لكننا نسجل هنا أن الثورة الوطنية المغربية هي أكثر شبيها بثورات العصور القديمة، فالحاكم المغربي كان لا بد أن يولد حاكماً، وأن ينحدر من سلالة النبي، فقد رأينا كيف أعلن الهيئة أنه مجرد خليفة لأحد المتواجدين بتافيلالت والمنحدر من صلب السلالة الحاكمة<sup>(٩٨)</sup>، فصدى الثورات القديمة وتشابهها مع الثورة الوطنية المغربية أكثر وضوحاً مقارنة مع الثورات الحديثة<sup>(٩٩)</sup>.

من معيقات الثورة الوطنية المغربية، مقارنة مع الثورات الحديثة، وعدم نضجها أنها على المستوى الذهني ظلت حركة اعتيادية، فاللغة السياسية المغربية لم تشهد تطوراً يذكر لقد ظلت رهينة المرجعية الدينية القائمة على ثنائية دار الكفر ودار الإيمان، وحتى التطورات الطفيفة التي شهدتها ثورة الحماي، في استيعابها للبعد الإنساني في تعاملها مع الخصوم، لم تصمد كثيراً أمام ثقل الإرث التاريخي، فسرعان ما أبانت على أنها لا تختلف في شيء عن التمردات البدوية السابقة، حين انحدرت في طريق السلب والنهب، لأنها كانت مطبوعة بالعشوائية، لضباية الخصم. فإذا كان موقفها واضحا من السلطة الاستعمارية الدخيلة، فإن الموقف من المخزن، كحكومة محلية غير مناسبة، ظل مشوباً بالتردد والغموض، حتى في حالة ثورة الهيئة، التي كان يجب أن تكون أكثر وضوحاً. سؤال آخر يطرح نفسه علينا ونحن نقارن بين الثورة الوطنية المغربية والثورات الكبرى، أية صفة هي تلك التي يمكن أن تنعت بها الثورة الوطنية المغربية؟ هل هي ثورة شعبية أم ديمقراطية؟ الواقع أن كلتا الصفتان تنطبقان، إلى حد ما، على الثورة الوطنية المغربية، مادما أمام أكثر من وجه لها. فالثورة الوطنية التي شهدتها فاس ونواحيها يظل المنحى الشعبي فيها أكثر وضوحاً، لأن العنصر الغالب على فاعليها هم العامة/ الغوغاء<sup>(١٠٠)</sup>، في حين استهدفت ثورة الهيئة تحقيق بعض المكاسب الديمقراطية، إذ بالإضافة إلى استهدافها تحقيق التحرر من الأجنبي، استهدفت خلق مجتمع نموذجي وفق المثل العليا للإسلام، عن طريق تغيير النخبة السياسية المتحكمة والمعينة من طرف السلطة المركزية، وتعويضها بأخرى يتم اختيارها من طرف الجماعة، أما على المستوى الاقتصادي فقد أحرقت النزالات، رمز الاستغلال، وألغت الضرائب غير الشرعية، ربما يرجع هذا التميز إلى نمط التنظيم السوسيوسياسي المؤسس على المساواة والمشاركة، الذي ساد الجنوب المغربي<sup>(١٠١)</sup>. فتحقيق الحرية والتحرر

## خاتمة

قدمنا عرضاً مفصلاً لثلاث ثورات وطنية مبكرة شهدها المغرب بفعل الضغط الخارجي وانتكاس السلطة المركزية وجورها. حاولنا في هذا العرض أن نرصد مكامن الضعف والقوة في كل واحدة منها. ومن أجل فهم أعمق لهذه الظاهرة حاولنا أن ندرسها باعتماد المنهج المقارن بدراستها في ضوء التجارب الثورية الكبرى، مما ساعدنا على إبراز بعض خصائصها، التي جعلتها تسمو على أن تكون مجرد عنف أعمى دوري، ضد السلطة المركزية، طالما ميز التاريخ المغربي أو مجرد مقاومة للأجنبي المحتل. وبيننا كيف إنه على الرغم من اشتراكها مع الثورات الكبرى في بعض الخصائص من مثل توفر بعضها على القيادة والإيديولوجيا وطبيعة العواطف المسيطرة على جماهيرها، فقد عجزت عن تحقيق أهدافها، خاصة فيما يتعلق بالانتقال من الثورة إلى الدولة، لعدم اجتماع كل شروط النجاح لواحدة من تلك الثورات الثلاث هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها على الرغم من أخذ بعضها، كمثيلاتها الدولية، بالتخطيط والاستراتيجي والعلمي إلا أن غلبة الميتافيزيقي/ الغيبي عليها واحتكامها إليه، بادعائها استمدادها العون من قوى الغيب، من أجل التعبئة وحشد الجماهير، ترسبت بذور انحلالها وتفككها في أعماقها منذ البداية، حينما عجزت عن اجتراح المعجزات، وعاندتها الصدف التاريخية. وعلى الرغم من كل ذلك فلهذه الثورات فرادتها التي تجعلنا نقول مطمئنين بأن هذه التجارب التاريخية الثلاث كانت أكثر من مجرد مقاومة وأقرب إلى الثورة بمعناها المفهوم في الأدبيات الغربية المنظره لهذه الظاهرة الإنسانية.

متضمنان، إلى حد ما، في ثورة الجنوب المغربي، ما دامت قد استهدفت التحرر من نير المستعمر ومن تجاوزات المخزن<sup>(١٢)</sup>، وتجلت تحقيق الحرية في تبني مبدأ الحق في المشاركة في الحياة السياسية للسكان المحليين من خلال حرية اختيار ممثليهم، وبالتالي خلق شكل جديد في الحكم<sup>(١٣)</sup>.

## جدول رقم (١) مراحل الثورة الوطنية المغربية ومميزاتها

| اختبار       | نتيجة ١                                | نتيجة ٢                                       | نتيجة ٣  |
|--------------|--|---|--|
| ثورة الهبة   | القدرة على استقطاب العامة وصغار النخبة | محاولة بناء الدولة                            | الفشل في تحقيق التحول من الثورة إلى الدولة نتيجة الضعف العسكري وغلبة الديني على الديني |
| ثورة فاس     | الانتقال من تمرد مطلبى إلى ثورة حضرية  | تعميم الثورة خارج فاس لتشمل باقي مناطق المغرب | عدم القدرة على الاستمرارية لافتقادها القيادة والإيديولوجيا معاً                        |
| ثورة الحجامي | ثورة فاس في امتدادها القبلي            | تبليغ الإيديولوجيا والتوفر على القيادة        | الفشل في تحقيق الأهداف لضبابية المواقف   |

## الاحالات المرجعية:

- (17) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution...**op, cit, p, 132.
- (18) La Dépêche Marocaine, Après la mutinerie, 8(ème) année – N°2226, Tanger, vendredi 3 mai 1912, p,1.
- (19) Rivet, Daniel, Lyautey et l'institution...op, cit, p,133.
- (20) Aubert
- (21) Rivet, Daniel, Lyautey et l'institution...op, cit, p, 136, « Référence 563 ».
- (22) Ibid., p, 136.
- (23) La Dépêche Marocaine, Dans le Sous, 8(ème) année – N°2300, Tanger, lundi 22 juillet 1912, p,1.
- (24) La Dépêche Marocaine, Les Faits et gestes d Ahmad El Hiba, 8(ème) année – N°2304, Tanger mercredi 24 juillet 1912, p,1.
- (25) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution...**op, cit, p, 136.
- (26) La Dépêche Marocaine, La Semaine Marocaine, 8(ème) année – N°2302, Tanger, lundi 22 juillet 1912, p,1.
- (27) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution...**op, cit, p137.
- (28) La Dépêche Marocaine, Dans le Sud, Les émissaires d Ahmad El Hiba sont repoussés, 8(ème) année – N°2318, Tanger, mercredi 7 aout 1912, p,1.
- (29) La Dépêche Marocaine, La situation dans le sud, 8(ème) année – N°2322, Tanger, mercredi 11 aout 1912, p,1.
- (30) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution...**op, cit, p, 137.
- (31) La Dépêche Marocaine, Aux prises avec le sultan bleu, 8(ème) année – N°2337, Tanger, lundi 26 aout 191, p,1.
- (32) Montagne, Robert, **Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc**, Essai sur la transformation politique des Berbères sédentaires « groupe chleuh » Librairie Félix alcan, Paris,1930.
- (33) La Dépêche Marocaine, L attitude équivoque de Moulay El Kabir, 8(ème) année – N°2285, Tanger, vendredi 5 juillet 1912, p, 2.
- (34) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution...**op, cit, p, 130.
- (35) La Dépêche Marocaine, La semaine Marocaine, 8(ème) année – N°2302, Tanger, lundi 22 juillet 1912, p,1.
- (36) La Dépêche Marocaine, L opinion publique, 8(ème) année – N°2203, Tanger, mercredi 10 mai 1912, p,1.
- (37) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution...**op, cit, p 130.
- (38) La Dépêche Marocaine, Après la mutinerie, 8(ème) année – N°2226, Tanger, vendredi 3 mai 1912, p,1.
- (39) La Dépêche Marocaine, La situation dans le Protectorat, 8(ème) année – N°2453, Tanger, lundi 23 décembre 1912, p, 1.

- (1) Jaques Hubert
- (2) Le Matin
- (3) La Dépêche Marocaine, Récits d un témoin, Un dahir de Moulay Hafid aux soldats chérifiens, 8(ème) année – N°2226, Tanger, mercredi 3 mai 1912, p,1.
- (4) La Dépêche Marocaine, Les Journées de Fez, 8(ème) année – N°2224, Tanger, mercredi 1 mai 1912, p,1.
- (5) La Dépêche Marocaine, La Situation à Fez et dans les tribus, 8(ème) année – N°2234, Tanger, samedi 11 mai 1912, p,1.
- (6) La Dépêche Marocaine, La Situation à Fez et dans les tribus, 8(ème) année – N°2234, Tanger, samedi 11 mai 1912, p,1.
- (7) La Dépêche Marocaine, Récits d un témoin, Un dahir de Moulay Hafid aux soldats chérifiens, 8(ème) année – N°2226, Tanger, mercredi 3 mai 1912, p,1.
- (8) Rivet, Daniel , **Lyautey et l'institution du protectorat Français au Maroc 1912-1925**, Tome 1 , Editions L Harmattan, Paris, 1988 ,p,129.
- (9) Ibid.
- (10) La Dépêche Marocaine, L enquête officielle sur les événements de Fez, 8(ème) année – N°2228, Tanger, dimanche 5 mai 1912, p,2.
- (11) وهي عبارة عن مقالات لجرائد فرنسية واكبت الأحداث.
- (12) La Dépêche Marocaine, A Fez, Par Radio télégramme « de notre envoyé spécial » Fez, 14 juillet « matin », 8(ème) année – N°2296, Tanger, mardi 16 juillet 1912, p,1.
- (13) لمعرفة كيفية خدمة الحماية لمصالح البرجوازية الفاسية يمكن الرجوع إلى:  
Yakhlef ,Mohammed , **La Municipalité de Fez à l'époque du protectorat 1912-1956** université libre de Bruxelles , Faculté de philosophie et lettres ,institut de langues et civilisations orientales ,thèse de doctorat d'état en histoire contemporaine du Maroc sous la direction de Robert Anciaux 1990 ,tome 3, p,180 et Gruner ,Roger, **Du Maroc traditionnel au Maroc moderne** ,le contrôle civil au Maroc 1912-1956 nouvelles éditions latines ,Paris ,1984 ,p ,161.
- (14) برينتن، كرين، **تشريح الثورة**، ترجمة سمير الجليبي، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، دار الفارابي، ص، ٦٨.
- (15) La Dépêche Marocaine, Autour de Fez, 8(ème) année – N°2238, Tanger, mercredi 15 mai 1912, p,1.
- (16) La Dépêche Marocaine, La situation à Fez L agitation dans les tribus, 8(ème) année – N°2240, Tanger, samedi 18 mai 1912, p,1.

- (10) تم التفصيل في ذلك من قبل.
- (11) برينتن، كرين، **تاريخ الثورة**... مرجع سابق، ص، ١٠٨.
- (67) La Dépêche Marocaine, La Situation à Fez et dans les tribus, 8(ème) année – N°2234, Tanger, samedi 11 mai 1912, p,1.
- (68) La Dépêche Marocaine, La possibilité d une Marche sur Taza, Un article du «Siècle», 8(ème) année – N° 2237, Tanger, mardi 14 mai 1912, p,1.
- (69) La Dépêche Marocaine, Autour de Fez, 8(ème) année – N° 2238, Tanger, mercredi 15 mai 1912, p,1.
- (70) La Dépêche Marocaine, Après la mutinerie, 8(ème) année – N° 2226, Tanger, vendredi 3 mai 1912, p,1.
- (٧١) يرى دانييل ريفي أن ثورة فاس قد افتقدت القيادة والإيديولوجيا معا، ونحن نتفق معه في ذلك لكن خلال مرحلتها الحضرية، وبالضبط خلال شهر أبريل، للاطلاع على موقف دانييل ريفي يمكن الرجوع إلى:
- Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution** ...op, cit, p,131
- (72) Rivet, Daniel,....op, cit, p,131.
- (٧٣) ريبتن، كرين، **تاريخ الثورة**... مرجع سابق، ص، ٩٤.
- (74) Pour bien comprendre les fondements du nationalisme marocain, Voir: Laroui, Abd Allah, **Esquisses historique**, Centre Culturel Arabe, 1993, de p, 135 à 145.
- (75) Rivet, Daniel, ...op, cit, p131,
- (76) La Dépêche Marocaine, Dans le Sous, 8(ème) année – N° 2300, Tanger, samedi 20 juillet 1912, p,1.
- (٧٧) برينتن، كرين، **تاريخ الثورة**... مرجع سابق، ص، ١٠٨.
- (٧٨) نموذج المختار السوسي.
- (79) Rivet, Daniel,....op, cit, p,141.
- (80) Rivet, Daniel,....op, cit, p,13٨.
- (81) Ibid.
- (٨٢) برينتن، كرين، **تاريخ الثورة**... مرجع سابق، ص، ٨٢.
- (٨٣) نفسه... ص، ٨٤.
- (٨٤) نفسه... ص، ١٣٧.
- (85) Laroui, Abdallah, **Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830-1912**, Centre Culturel Arabe 1993, p,401.
- (86) La Dépêche Marocaine, L Armée Chérifienne, 8(ème) année – N° 2235, Tanger, dimanche 12 mai 1912, p, 2
- (٨٧) برينتن، كرين، **تاريخ الثورة**... مرجع سابق، ص، ١٢٦.
- (88) La Dépêche Marocaine, L attitude équivoque de Moulay El Kabîr, 8(ème) année – N°2285, Tanger, vendredi 5 juillet 1912, p, 2
- (٨٩) برينتن، كرين، **تاريخ الثورة**... مرجع سابق، ص، ٨٦.
- (90) La Dépêche Marocaine, La Situation dans le Sud, 8(ème) année – N°2237, Tanger, mardi 14 mai 1912, p, 2.
- (40) La Dépêche Marocaine, Le Prétendant du Sud, 8(ème) année – N°2291, Tanger, jeudi 11 juillet 1912, p,1.
- (41) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution**...op, cit, p,131.
- (42) La Dépêche Marocaine, La situation de Moulay Hiba, 8(ème) année – N°2320, Tanger, vendredi 9 aout 1912, p,1.
- (43) La Dépêche Marocaine, Dans le Sud, « par radio télégramme » de notre correspondant particulier, Mogador 14 juillet, 8(ème) année – N°2297, Tanger, mercredi 17 juillet 1912, p,1.
- (44) La Dépêche Marocaine, Le caïd Trai, Protégé espagnole, 8(ème) année – N°2322, Tanger, dimanche 11 aout 1912, p,2.
- (45) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution**...op, cit, p,142.
- (46) Ibid.
- (47) Mangin.
- (٤٨) تشبيها لها بالمواسم السنوية التي تقام بمختلف مناطق المغرب بالقرب من أضرحة من يعتقد بصلاحهم وولايتهم.
- (49) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution**...op, cit, p,143.
- (50) Ibid.
- (51) La Dépêche Marocaine, Les Faits et gestes d Ahmad El Hiba, 8(ème) année – N°2304, Tanger, mercredi 24 juillet 1912, p,1.
- (52) Gouraud.
- (53) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution**...op, cit, p,135.
- (54) Gerlier, H, La Dépêche Marocaine, La Marche sur Marrakech, 8(ème) année – N°2339, Tanger, mercredi 28 aout 1912, p,1.
- (55) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution**...op, cit, p,135.
- (٥٦) سوف نتطرق لمسألة الحرية والتحرر في الثورة الوطنية المغربية في محور الخلاصات والاستنتاجات.
- (57) Rivet, Daniel, Lyautey et l'institution ...op, cit, p,135.
- (58) La Dépêche Marocaine, La Semaine Marocaine, 8(ème) année – N°2229, Tanger, lundi 6 mai 1912, p,1.
- (59) La Dépêche Marocaine, Les origines du Rogui, 8(ème) année – N°2293, Tanger, samedi 13 juillet 1912, p,2.
- (60) La Dépêche Marocaine, La situation de Mouley Hiba, 8(ème) année – N°2320, Tanger, vendredi 9 aout 1912, p,1.
- (61) La Dépêche Marocaine, Les faits et gestes de Mohamed Hiba, 8(ème) année – N°2304, Tanger mercredi 24 juillet 1912, p,1.
- (٦٢) للاطلاع على بعض التفسيرات التي أشاعها أنصار الهيئة لتبرير الهزائم وقوبلت من طرف الشيخ بالصمت يمكن الرجوع إلى دانييل ريفي الصفحة ١٤٠.
- (٦٣) برينتن، كرين، **تاريخ الثورة**... ص، ١١٦.
- (64) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution**...op, cit, p,141.

- (٩١) برينتن، كرين، **تشريح الثورة...**، مرجع سابق، ص، ٩٩.
- (92) Rivet, Daniel,...op, cit, p,139.
- (٩٣) برينتن، كرين، **تشريح الثورة...**، مرجع سابق، ص، ١٣٧.
- (94) La Dépêche Marocaine, Faut – il négocier avec El Hiba, 8(ème) année – N°2342, Tanger, samedi 31 aout 1912, p,2.
- (٩٥) برينتن، كرين، **تشريح الثورة...**، مرجع سابق، ص، ١٦١.
- (٩٦) أرندت، حنة، **في الثورة**، ترجمة عطا عبد الوهاب، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، سبتمبر ٢٠٠٨، ص، ٤٦.
- (٩٧) نفسه، ص، ١٠.
- (98) La Dépêche Marocaine, Gerlier, H, La Marche sur Marrakech, 8(ème) année – N° 2339, Tanger, mercredi 28 aout 1912, p,1.
- (٩٩) تحدد حنة أرندت مجموعة من الشروط لكي يصبح المرء حاكمًا، إذ لا يكفي أن يقوم بتمرد ناجح لتحقيق الوصول إلى السلطة وممارستها فلا بد له من أن يولد حاكمًا، وأن يولد حرًا في العصر القديم؛ وأن يكون من النبلاء في أوروبا الإقطاعية، انظر: أرندت، حنة، **في الثورة...**، مرجع سابق، ص، ٥٥.
- (100) Rivet, Daniel, **Lyautey et l'institution...**op, cit, p, 127.
- (101) La Dépêche Marocaine, Robert de Caix, Un Aperçu du Grand Atlas, 8(ème) année – N° 2191, Tanger, mercredi 27 mars 1912, p,1.
- (١٠٢) يمكن الرجوع إلى دانييل ريفي للاطلاع على التجاوزات التي مارسها المولى عبد الحفيظ، قبل الاحتلال الفرنسي، ضد سكان ضواحي مدينة فاس، الذين اغتصب منهم أجدود وأخصب أراضيهم الفلاحية.
- (١٠٣) لمزيد من التفصيل لمعرفة الفرق بين مفهومي الحرية والتحرر يمكن الرجوع إلى حنة أرندت، **في الثورة**، الصفحات من ٣٨ إلى ٤٧.